رب يسر

بسم الله الرحمن الرحيم وتمم بالخير

وبه نستعين

مايقول سيدنا وشيخنا شيخ الاسلام وقدوة الانام ايده الله ورضي عنه في رجلين تنازعا في حديث النزول احدهما مثبت والآخر نافٍ فقال المثبت ينزل ربنا كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فقال النافي كيف فقال المثبت ينزل بلا كيف فقال النافي يخلو منه العرش ام لا يخلو فقال المثبت ما ذا تقول مبتدع ورأي مخترع فقال النافي ليس هذا جوابي بل هو جوابك فقال له المثبت هذا جوابك فقال النافي انما ينزل امره ورحمته فقال المثبت امره ورحمته ينزلان كل ساعة والنزول قد وقت له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثلث الليل فقال النافي الليل لا يستوي وقته في البلاد فقد يكون الليل في بعض البلاد خمس عشر ساعة والنهار تسع ساعات ويكون في بعض البلاد ست عشر ساعة والنهار ثمان وبالعكس فوقع الاختلاف في طول الليل وقصره بحسب الاقاليم والبلاد وقد يستوي الليل والنهار في بعض البلاد وقد يطول الليل في بعض البلاد حتى يستوعب الاربع وعشرين ساعة ويبقى النهار عندهم وقت يسير فيلزم على هذا ان يكون ثلث الليل دائما ويكون الرب دائما نازلا الى السماء والمسئول ازالة الشبهة والاشكال وبيان الهدى من الضلال

فاجاب رضي الله عنه فقال الحمد لله رب العلمين اما القائل الاول الذي ذكر نص النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقد اصاب فيما قال فان هذا القول

حيدا
اي نفرة ١٢

الذي قاله قد استفاضت به السنة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم واتفق سلف الامة وائمتها واهل العلم بالسنة والحديث على تصديق ذلك وتلقيه بالقبول ومن قال ما قاله الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فقوله حق وصدق وان كان لا يعرف حقيقة ما اشتمل عليه من المعاني كمن قرأ القرآن ولم يفهم ما فيه من المعاني فان اصدق الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والنبي ص قال هذا الكلام وامثاله علانية وبلغه الامة تبليغا عاما لم يخص به احدا دون احد ولا كتمه عن احد وكان الصحابة والتابعون تذكره وتناثره وتبلغه وتتروه في المجالس الخاصة والعامة واشتملت عليه كتب الاسلام التي تقرأ في المجالس الخاصة والعامة كصحيح البخاري ومسلم وموطا مالك ومسند الامام احمد وسنن ابي داود والترمذي والنسائي وامثال ذلك من كتب المسلمين لكن من فهم من هذا الحديث وامثاله ما يجب تنزيه الله عنه كتمثيله بصفات المخلوقين ووصفه بالنقص المنافي لكمال الذي يستحقه فقد اخطأ في ذلك وان اظهر ذلك منع منه وان زعم ان الحديث يدل على ذلك ويقتضيه فقد اخطأ ايضا في ذلك فان وصفه سبحانه وتعالى في هذا الحديث بالنزول هو كوصفه بسائر الصفات كوصفه بالاستوى الى السماء وهي دخان ووصفه بانه خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوى على العرش ووصفه بالاتيان والمجيء في مثل قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقوله هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك او ياتي بعض ايات ربك وقوله وجاء ربك والملك صفا صفا وكذلك قوله خلق السموات والارض وما بينهما في ستة ايام ثم استوى على العرش وقوله والسماء بنيناها بايد وقوله الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء

الذي قاله فقد استفاضت به السنة

وقوله يدبر الامر من السماء الى الارض ثم يعرج اليه وامثال ذلك من
الافعال التي وصف الله تعالى بها نفسه التي تسميه النحاة افعالاً
متعدية وهي غالب ما ذكر في القرآن او تسميتها لازمة للكونها لا تنصب
المفعول به بل لا تتعدى اليه الا بحرف الجر كاستوى الى السماء وعلى العرش
والنزول الى السماء الدنيا ونحو ذلك فان الله وصف نفسه بهذه الاقوال
اللازمة والمتعدية في مثل قوله واذ قال ربك للملائكة وقوله وكلم الله
موسى تكليماً وقوله ونادياهما ربهما وقوله ويوم يناديهم فيقول ماذا
اجبتم المرسلين وقوله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل وقوله الله لا اله الا هو
ليجمعنكم الى يوم القيمة لا ريب فيه ومن اصدق من الله حديثا وقوله الله نزل
احسن الحديث وقوله وتمت كلمة ربك الحسنى على بني اسرائيل بما صبروا او
قوله وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً وقوله ولقد صدقكم الله وعده و
كذلك وصف نفسه بالعلم والقوة والرحمة ونحو ذلك كما في قوله ولا
يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة
المتين وقوله ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً وقوله ورحمتي وسعت كل
شيء ونحو ذلك مما وصف به نفسه في كتابه وبما صح عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم فان القول في جميع ذلك من جنس واحد ومذهب سلف الامة
وائمتها انهم يصفونه بما وصف به نفسه ووصفه به رسول الله صلى الله
عليه وآله وسلم في النفي والاثبات والله سبحانه وتعالى قد نفى عن نفسه مماثلة
المخلوقين فقال تعالى قل هو الله احد الله الصمد لم يلد ولم يولد
ولم يكن له كفوا احد فبين انه لم يكن احد كفوا له وقال تعالى هل
تعلم له سميا فانكر ان يكون له سمي فقال تعالى فلا تجعلوا لله اندادا وقال

وقال تعالى

تسميها

الافعال ووصف نفسه

وقال
تعالى فلا تضربوا لله الامثال وقال تعالى ليس كمثله شيء فيما اخبر به عن نفسه
من تنزيهه عن الكفو والسمي والمثل والند والامثال له بيان ان لا مثل له في
صفاته ولا افعاله فان التماثل في الصفات والافعال يتضمن التماثل في الذات
فان الذاتين المختلفتين تمتنع تماثل صفاتهما وافعالهما اذ تماثل الصفات
والافعال يستلزم تماثل الذوات فان الصفة تابعة للموصوف بها والفعل
ايضاً تابع لفاعله بل هو مما يوصف به الفاعل فاذا كانت الصفتان
متماثلتين كان الموصوفان متماثلين حتى انه يكون بين الصفات من التشابه
والاختلاف بحسب ما بين الموصوفين كالانسانين لما كانا من نوع واحد
فتختلف مقاديرهما وصفاتهما بحسب اختلاف ذاتيهما ويتشابه ذلك بحسب
تشابه ذلك كذلك اذا قيل بين الانسان والفرس تشابه من جهة ان هذا
حيوان وهذا حيوان واختلاف من جهة ان هذا ناطق وهذا صاهل وغير
ذلك من الامور كان بين الصفتين من التشابه والاختلاف بحسب ما بين
الذاتين وذلك ان الذات المجردة عن الصفة لا توجد الا في الاذهان
والاذهان يقدر ذاتا مجردة عن الصفة ويقدر وجودا مطلقاً لا يتعين
واما الموجودات في انفسها فلا يمكن فيها وجود ذات مجردة عن كل
صفة ولا وجود مطلق لا يتعين ولا يتخصص واذا قال من قال من اهل
الاثبات للصفات انا اثبت صفات الله زائدة على ذاته فحقيقة
ذلك انا نثبتها زائدة على ما اثبتها النفات من الذات فان النفات
اعتقدوا ثبوت ذات مجردة عن الصفات فقال اهل الاثبات نحن نقول
باثبات صفات زائدة على ما اثبته هو لاء واما الذات نفسها الموجودة
فتلك لا يتصور ان تتحقق بلا صفة اصلاً بل هذا بمنزلة من قال اثبت
انساناً لا حيواناً ولا ناطقاً ولا قائماً بنفسه ولا باقيه ولا قدرة ولا حيوة

عن الكفو والسمي والمثل والند والامثال له بيان ان لا مثل له في صفاته ولا افعاله فان التماثل في الصفات والافعال يتضمن التماثل في الذات

فتختلف

وذلك ان الذات المجردة لا توجد الا في الاذهان ١٢

معنى ثبوت زيادة الصفات

ولا حركة ولا سكون ونحو ذلك او قال اثبت نخلة ليس لها ساق ولا
جذع ولا كيف ولا غير ذلك فان هذا يثبت مالا حقيقة له في الخارج ولا
يعقل ولهذا كان السلف والائمة يسمون نفاة الصفات معطلة
لان حقيقة قولهم تعطيل ذات الله تعالى وان كانوا هم قد لا يعلمون ان قولهم
مستلزم التعطيل بل يصفونه بالوصفين المتناقضين فيقولون هو موجود
قديم واجب ثم ينفون لوازم وجوده فيكون حقيقة قولهم موجود ليس
بموجود حق ليس بحق خالق ليس بخالق فينفون عنه النقيضين اما تصريحا
بنفيهما واما امساكا عن الاخبار بواحد منهما ولهذا كان محققوهم و
هم القرامطة ينفون عنه النقيضين فلا يقولون موجود ولا لا موجود ولا حي
ولا لا حي ولا عالم ولا لا عالم قالوا لان وصفه بالاثبات تشبيه له
بالموجودات ووصفه بالنفي فيه تشبيه له بالمعدومات قال لهم
اغراضهم في نفي التشبيه الى ان وصفوه بغاية التعطيل ثم انهم لم يخلصوا
مما فروا منه بل يلزمهم على قياس قولهم ان يكونوا قد شبهوه بالممتنع
الذي هو اخس من الموجودات والمعدوم الممكن ففروا في زعمهم
من التشبيه بالموجودات والمعدومات ووصفوه بصفات الممتنعات التي
لا تقبل الوجود بخلاف المعدومات الممكنات وتشبيهه بالممتنعات شر
من تشبيهه بالموجودات والممكنات وما فر منه هؤلاء الملاحدة
ليس بمحذور فانه اذا سمي حقا موجودا قائما بنفسه حيا عليما قديرا فاعلا رحيما
ويسمى المخلوق بذلك لا يستلزم من ذلك ان يكون مماثلا للخالق اصلا
ولو كان كل هذا حقا كان كل موجود مماثلا لكل موجود ولكان كل
معدوم مماثلا لكل معدوم ولكان كل ما ينفى عنه شيء من الصفات
مماثلا لكل ما ينفى عنه ذلك الوصف فاذا قيل السواد موجود

لكان على قول هؤلاء قد جعلنا كل موجود مماثلا

١٤٣

لكان على قول هؤلاء قد جعلنا كل موجود مماثلا للسواد واذا قلنا
البياض معدوم جعلنا كل معدوم مماثلا للبياض ومعلوم ان هذا
في غاية الفساد ويكفي هذا خزيا لحزب الالحاد واذا لم يلزم مثل ذلك
في السواد الذي له امثال بلا ريب فاذا قيل في خالق العالم انه موجود
لا معدوم حي لا يموت قيوم لا تاخذه سنة ولا نوم فمن اين يلزم
ان يكون مماثلا لكل موجود ومعدوم وحي وقائم وكل ما ينفى عنه العدم
وما ينفى عنه صفة العدم وما ينفى عنه الموت والنوم كاهل الجنة الذين
لا ينامون ولا يموتون وذلك ان هذه الاسماء العامة المتواطئة
التي تسميها النحاة اسماء الاجناس سواء اتفقت معانيها في محالها
او تفاضلت كالاسود ونحوه وسواء سميت مشككة وقيل ان
المشككة نوع من المتواطئة اما ان تستعمل مطلقة وعامة كما اذا قيل
الموجود ينقسم الى واجب وممكن وقديم ومحدث وخالق ومخلوق و
العلم ينقسم الى قديم ومحدث فاما ان تستعمل خاصة معينة كما اذا
قيل وجود عمرو زيد وعلم عمرو وعلم زيد وذات زيد وعمرو فاذا
استعملت خاصة معينة دلت على ما يختص به المسمى لم تدل على ما
يشركه فيه غيره في الخارج فان ما يختص به المسمى لا شركة فيه بينه وبين
غيره فاذا قيل علم زيد ونزول زيد واستوى زيد ونحو ذلك
لم تدل الا على ما يختص به زيد من علم ونزول واستواء ونحو ذلك لم تدل
على ما يشركه فيه غيره لكن لما علمنا ان زيدا نظير عمرو وعلمنا ان علمه
نظير علمه ونزوله نظير نزوله واستواءه نظير استوائه فهذا
علمناه من جهة القياس والمعقول والاعتبار لا من جهة دلالة اللفظ
فاذا كان هذا في صفات المخلوق فذلك في الخالق اولى فاذا قيل

ان علم الله وكلام الله ونزوله واستوآءه ووجوده وحياته ونحو ذلك لم
يدل ذلك على مماثلة الغير له في ذلك كما دل في زيد وعمرو وهناك علمنا
التماثل من جهة الاعتبار والقياس لكون زيد مثل عمرو وهناك نعلم ان
ان الله لا مثل له ولا كفو وله اند فلا يجوز ان نفهم من ذلك ان علمه مثل
علم غيره ولا كلام غيره ولا استوآءه مثل استوآء غيره ولا نزوله مثل نزول
غيره ولا حياته مثل حياة غيره وبهذا كان مذهب السلف والائمة
اثبات الصفات ونفي مماثلتها بصفات المخلوقات فالله تعالى يوصف
بصفات الكمال الذي لا نقص فيه منزه عن صفات النقص مطلقا ومنزه
عن ان يماثله غيره في صفات كماله فهذان المعنيان جمعا التنزيه
وقد دل عليهما قوله تعالى قل هو الله احد الله الصمد فالاسم الصمد يتضمن
صفات الكمال والاسم الاحد يتضمن نفي المثل كما قد بسط الكلام على ذلك
في تفسير هذه السورة فالقول في صفاته كالقول في ذاته فالله تعالى
ليس كمثله شئ لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله لكن يفهم من ذلك
ان نسبة هذه الصفة الى موصوفها كنسبة هذه الصفة الى موصوفها فعلم
الله وكلامه ونزوله واستوآءه هو كما يناسب ذاته وتليق بها كما ان
صفة العبد هي كما تناسب ذاته وتليق بها ونسبة صفاته الى ذاته
كنسبة صفات العبد الى ذاته ولهذا قال بعضهم اذا قال لك
السائل كيف ينزل او كيف استوى او كيف يعلم او كيف يتكلم ويقدر ويخلق
فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال انا لا اعلم كيفية ذاته فقل له وانا
لا اعلم كيفية صفاته فان العلم بكيفية الصفة تتبع العلم بكيفية
الموصوف فهذا اذا استعملت هذه الاسماء والصفات على وجه
التخصيص والتعيين وهذا هو الوارد في الكتاب والسنة واما اذا

قيلت مطلقة وعامة

قيلت مطلقة وعامة كما يوجد في كلام النظار الموجود ينقسم الى قديم و
محدث والعالم ينقسم الى قديم ومحدث ونحو ذلك فهذا مسمى اللفظ
المطلق والعلم مغنى مطلق وعام والمعاني لا تكون مطلقة وعامة الا في
الاذهان لا في الاعيان فلا يكون موجودا وجودا مطلقا وعاما الا في الذهن
ولا يكون مطلق وعام الا في الذهن ولا يكون انسان او حيوان مطلق و
عام الا في الذهن والا فلا تكون الموجودات في انفسها الا معينة مخصوصة
متميزة عن غيرها فليتدبر العاقل هذا المقام الفارق فانه زل فيه خلق
من اولي النظر المحقق الخايضين في الحقايق حتى ظنوا ان هذه المعاني العامة
المطلقة الكلية تكون موجودة في الخارج كذلك وظنوا انا اذا قلنا ان
الله عز وجل موجود حي عليم والعبد موجود حي عليم انه يلزم وجود موجود في
الخارج يشترك فيه الرب والعبد وان يكون ذلك الموجود بعينه في
العبد والرب بل وفي كل موجود ولا بد ان يكون للرب ما يميزه عن
المخلوق فيكون جزآن احدهما لكل موجود مخلوق وهو القدر المشترك بينه و
بين سايرالموجودات والثاني يختص به وهو المميز عن سايرالموجودات
لا يدركون فيما يختص به الا ما يلزم فيه مثل ذلك فاذا قالوا يمتاز
بذاته وبحقيقته او ماهيته او نحو ذلك كان ذلك بمنزلة قولهم يمتاز
بوجوده فان الذات والحقيقة والماهية تستعمل مطلقا ومعينا كلفظ الوجود
سواء وهذا المقام حار فيه طوايف من ايمة النظار حتى قال طايفة لفظ
الوجود وغيره مقول بالاشتراك اللفظي فقط وحكوا ذلك عن كل من قال
بنفي الاحوال وهم عامة اهل الاثبات فصار مضمون قولهم ان مذهب
عامة اهل الكلام ومتكلمة الاثبات كابن كلاب والاشعري وابن
كرام وغيرهم بل ومحققي المعتزلة كابي الحسين وغيره ان لفظ الوجود

ع على ما يشركه فيه احد من
المخلوقين بطريق الاولى
ولم يدل ذلك ص

كلامه مثل ص

ق اسم الصمد يتضمن صفات
الكمال واسم الاحد يتضمن
نفي المثل

ق اذا قال لك كيف
الله قل له كيف هو في نفسه

استعملت

ثم تمتاز

ق والمعاني لا تكون مطلقة عامة
الا في الاذهان

ق فليتدبر هذا المقام الفارق